

ضحايا الحب

الشيخ الدكتور عائض بن عبد الله القرني

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه وبعد :
فيظن بعض الناس أن أصحاب الشريعة وأبناء الملة لا يعرفون الحب ، ولا يقدرونه حق قدره ،
ولا يدرون ما هو ، والحقيقة أن هذا وهم وجهل ، بل الحب العامر أنشودة عذبة في أفواه
الصادقين ، وقصيدة جميلة في ديوان المحبين ، ولكنه حب شريف عفيف ، كتبه الصالحون
بدموعهم ، وسطره الأبرار بدمائهم ، فأصبحت أسماؤهم في سجل الخلود معالم للفتاء
والتضحية والبسالة . وقصدت من هذه الرسالة الوقف مع القارئ على جوانب مشرقة ،
وأطلال موحشة في مسيرة الحب الطويلة ، التي بدأها الإنسان في حياة الكبد والنكد ، ليسمو
إلى حياة الجمال والجلال والكمال ، وسوف يمر بك ذكر لضحايا الحب وقتلاه ، وستعرف
المقصود مما أردت إذا قرأت ، وتعلم ما نويت إذا طالعت .
والله وحده نسأل أن يجعلنا من أحبابه ، والشهداء في سبيله .

الحب

الحب ماء الحياة ، وغذاء الروح ، وقوت النفس .

تعكف الناقة على حوارها بالحب ، ويرضع الطفل ثدي أمه بالحب وتبني الحمرة عشها بالحب ، بالحب تشرق الوجوه ، وتبتسم الشفاه ، وتتألق العيون . الحب قاض في محكمة الدنيا ، يحكم للأحباب ولو جار ، ويفصل في القضايا لمصلحة المحبين ولو ظلم ، بالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض كأنها الدنانير ، لأنهم أحبوا مبدأهم ، وتسيل نفوسهم على شفرات السيوف ، لأنهم أحبوا رسالتهم ، أحب الصحابة والمنهج وصاحبه ، والرسالة وحاملها ، والوحي ومترله ، فتقطعوا على رؤوس الرماح طلبا للرضا في بدر ، وأحد ، وحنين ، وهجروا الطعام ، والشراب ، والشهوات في هواجر مكة ، والمدينة ، وتجاؤا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر ، وأنفقوا طلبا لمرضاة الحبيب .

بالحب صاح حرام بن ملحان مقتولا : فزت ورب الكعبة ! ، بالحب نادى عمير بن الحمام إلى الجنة مستعجلا : إنها حياة طويلة إذ بقيت حتى آكل هذه التمرات ! ، بالحب صرخ عبد الله بن عمرو الأنصاري : اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى ! . لما أحب الخليل — عليه الصلاة والسلام — صارت له بردا وسلاما ، ولما أحب الكليم موسى — عليه السلام — انفلق له البحر ، ولما أحب خاتمهم حن له الجذع ، وانشق له القمر . المحب عذبه عذاب ، واستشهاده شهد لأنه محب .

أحبك لا تسأل لماذا لأنني *** أحبك هذا الحب رأيي ومذهبي

بالحب يثور النائم من لحافه الدافئ ، وفراشه الوثير لصلاة الفجر ، بالحب يتقدم المبارز إلى الموت مستقلا الحياة ، بالحب تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا يقال إلا ما يرضي الرب ، الحب كالكهرباء في التيار يلمس الأسلاك فإذا النور ، ويصل الأجسام فإذا الدفء ، ويباشر المادة فإذا الإشعاع ، الحب كالجاذبية به يتحرك الفلك ، وتتصاحب الكواكب ، وتتألف

المجموعة الشمسية ، فلا يقع بينهما خصام ولا قتال ، بالحب تتآخى الشمس في الحجر ، فلا صدام هناك ، ويوم ينتهي الحب يقع الهجر والقطيعة في العالم ، وسوء الظن والريبة في الأنفس ، والانقباض والعبوس في الوجوه ، يوم ينتهي الحب لا يفهم الطالب كلام معلمه العربي المبين ، ولا تدعن المرأة لزوجها ولو سأها شربت ماء ، ولا يحنو الأب على ابنه ولو كان في شدة ، الأسد ، يوم ينتهي الحب تمجر النحلة الزهر ، والعصفور الروض ، والحمام الغدير ، يوم ينتهي الحب تقوم الحروب ، ويشتعل القتال ، وتدمر القلاع ، وتلك الحصون ، وتذهب الأنفس والأموال ، ويوم ينتهي الحب تصبح الدنيا قاعاً صفصفاً ، والوثائق صحفاً فارغة ، والبراهين أساطير ، والمثل ترهات ! . لا حياة إلا بالحب ، ولا عيش إلا بالحب ، لا بقاء إلا بالحب ، إذا أحببت شمت عطر الزهر ، ولمست لين الحرير ، وذقت حلاوة العسل ، ووجدت برد العافية ، وحصلت أشرف العلوم ، وعرفت أسرار الأشياء .

وإذا كرهت صارت كل كلمة عندك جارحة ، وكل تصرف مشبوها ، وكل حركة مشكوك فيها ، وكل إحسان إساءة . المحب هجره وصال ، وغضبه رضا ، وخطيئته إحسان ، وخطؤه صواب .

ويقبح من سواك الفعل عندي *** وتفعله فيحسن منك ذاك !

الحب حبان : حب ارضي طيني سفلي إنما هو هيام وغرام ، وحب علوي سماوي إلهي ، وهو طاعة وعبادة وشهادة وسيادة .

فحب الأرض للعيون السود والحدود والقُدود ، ووادي الغضا ، وأهل البان ، وذكريات سلمى ، وأيام ليلي .

وحب الإله تعلق بشرعه ، وانقياد لأمره ، وامتنال لدينه ، وتقرب منه .

حب الطين آهات وزفرات وحسرات وندامات .

وحب رب العالمين علو ورفع وكرامة وسلامة وسعادة وريادة ، كيف لا تحب الله وما من نعمة عليك إلا هو منعمها ، ولا بلية إلا هو صرفها؟ ! هو المحسن وحده _ جل في علاه _ . ، فقضاؤه عدل ، وشرعه رحمة ، وخلقته جميل ، وصنعه حكيم ، وفضله واسع ، ووصفه حسن ، فلا عيب في شئ من صفاته ، بل الكمال كله فيها ، ولا نقص في تدبيره ، بل الحكمة

أجمعها فيه ، ولا خلل في صنعه ، بل الحسن أوله وآخره فيه ، فحبه واجب ، والتقرب منه فريضة ، وشكره حتم ، وطاعته لازمة .

أما الحب سواه فمنافع متبادلة ، وأهواء مشتركة ، وأغراض مادية ، يشوبه الخلل والزلل والإسراف وعدم الاستقرار ، مع ما يعقبه من أسف وندامة وحسرة .

ولا أحد في الكون يسكن له العبد ، ويتوكل عليه إلا الواحد الأحد ، ولذلك سمي نفسه (الله) ، . قيل هو الذي تأله النفوس إليه ، . وتسكن إليه في علاه .

الحب للرحمن جل جلاله *** وهو مستحق الحب والأشواق
فأصرفه للملك الجليل ولذبه *** من كل ما تخشاه من إرهاب

ما الحب ؟

لا أعلم كلمة في قاموس العربية تعبر عن الحب مثل كلمة (الحب) ، فليس هناك أصدق من (الحياء والباء) في دلالتها على هذا المقصود العظيم ، فالحياء تفتح الفم فيبقى فارغا حتى تأتي الباء فيضم الفم وتطبق الشفتان ، إذا هنا اجتماع بعد فرقة بعد هجر ! .

وكلمة (حب) كلمة عامرة ، لها أنداء وأفياء وظلال وأبعاد ، وهي كلمة مؤنسة مشجية منعشة مشوقة ، بل هي معجبة مطربة مغرية ، لكنها ذائعة شائعة ، غير أنها خفيفة لطيفة شريفة وفيها نضارة .

كلمة (حب) عالم من المودة والصلة والأنس والرضى والراحة ، وهي دنيا الأمل والفأل الحسن ، والأمس الجميل واليوم الحافل ، والغد الواعد .

إنها رحلة في عالم التآلف والتآخي ، والتفاهم والتكاتف ، والتضامن والتعاون ، في كلمة (حب) بسمة وضمة وهفة واشتياق ولوعة ! .

إذا قلت : (حب) تداعت الذكريات القديمة ، وثارَت المعاني الجميلة ، وحضرت المواقف المشجعية ، واستعادت النفس شبابها ، والقلب أملة ، والروح إشراقها ، والمجلس بهجته ، والحضور أنسه .

إذا قلت : (حب) سافرت بك قافلة الذكرى إلى صور ومشاهد لا تمحى من ذاكرة الزمن ،
فعرضت لك الطفل يضم الثدي ، والناقة تحنو على الفصيل ، والآكام تلف الثمار ، والأغصان
تعانق الجذوع ، والفراشة تلثم الزهرة ، والعش يكتنف الطائر ، فما احسن كلمة (حب)
وما أبدعها وما أروعها .

الحب حرفان حاء وبعدها باء *** تذوب عند معانيها الأحياء !

إذا قلت (حب) هل غيث الرجاء ، وهبت ريح الصفاء ، وسرى نسيم الوفاء ، وتهللت
أسارير الوجوه ، وانبلجت معالم الطلعات ، وأشرقت شمس الأيام ، وإذا قلت (حب)
امتألت الجوانح بالأشواق ، والحشايا بالتلهف ، والضمائر بصور الأحباب ، ومعاهد
الأصحاب ، ومغاني الأتراب .

إذا قلت : (حب) تساقطت أوراق البغضاء ، وتلاشت نزعات الشر ، وارتحلت قطعان
الضعينة ، وفزت زمر الأحقاد ، وغربت نجوم العداوات .

كلمة (حب) سماء شمسها اللقاء ، وقمرها العناق ، ونجومها الذكريات ، وسحبها الدموع
. كلمة (حب) إشراقة من عالم الملكوت ، وإطالة من ديوان الخلود ، ووقفة في بساط
العظمة . من استظل بسماؤها اتقد شوقه وتدافع خاطره .

وأما تعريف كلمة (الحب) فحذه نظما ولا تخش ظلما ولا هضما :

الحب بسمه عاشق ولو أنها *** سفرت لغار البدر من إطلالها !

وقيل :

الحب أكبادنا تشوى وأعيننا *** تكوى ، وأعمارنا تطوى على الأمل

وقيل :

إذا قلت هذا الحب بعد ولوعة *** وفرقة أصحاب وهجر أقارب
فما الحب إلا الأناج والقرى والرضى *** فدعني فهذا الحكم بعد التجارب

وقيل :

الحب كالسحر إلا أن رقيته *** شهادة لا يذوق الموت لاقبها

وقيل :

الحب ليس رواية شرقية *** بأريجها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحار دون سفينة *** ومرادنا أن الوصول محال

وقيل :

لعلك يا محب ظننت ظنا *** بأن الحب جمع وافتراق
أجل هو جمع أوصل تداعت *** وفرقة مهجة ، ودم يراق !

وقيل : الحب قصة طويلة فصولها الشهداء .

وقيل : الحب سر لا يعرفه المحبون .

وقيل : الحب ليس له تعريف إلا الحب .

أسئلة في الحب

السؤال الأول :

سألت إمام الحلي عن حكم عاشق *** إذا أزداد حبا صار من شوقه صبا
أيجزئه ذكر ورد تحية *** وشهقة شوق كالنسيم إذا هبا ؟ !
فقال : عليه النحر يوم لقائه *** .محبوبه حتى يزيل به الذنبا !

السؤال الثاني :

سألنا أبا حمدان عن حكم صاحب *** أحب فأهدى الروح خلا بلا ثمن
أيجرم هذا البيع والشرط باطل *** أليس يقال المرء حقا إذا غبن
فقال معاذ الله بل صح بيعه *** وهذا الذي نفيتي به سائر الزمن

السؤال الثالث :

سألت حماد عن صب جرى دمه *** من أجل أحبابه ماذا نقول له ؟
فقال : قولوا له يفدي بمهجته *** إما سواه على عمد نقول لهوا

المتنبي مفتيا :

يقول أبو الطيب :

قفي واغرمي الأولي من اللحظ مهحتي *** بثنائه والملتف الشيء غارمه

صحوة من سكار الحب

ومن المحبين من هجر الحب المحرم واتصل بالحب الشرعي الطاهر العفيف ، فانتقل من عالم الزور ، ودنيا الهيام ، وظلام الغرام ، ومقام الآثام ، إلى جنة الصدق ، وروضة المعرفة ، وبستان اليقين ، وباحة الإيمان : فهذا ابن أبي مرثد هام — قبل أن يسلم — بفتاة وعشقتها وسكب عمره في كأس هواها ، وأفرغ روحه في كوب نجواها ، وفرغ شبابه على تراب مغناها ، فلما هداه الله وغسل قلبه من أدران الهوان وأوصار المعصية ، أفاق — والله — من رقدته الغفلة ، ومن سنة الجهالة ، ومن سكرة الغي ، على صوت بلال ، فارتجف جسمه ، وتمذبت روحه ، وأعلن في إباء ، وصاح في استعلاء : أتوب إليك يا رب ، وأقبل على المصحف ، وهب إلى المسجد ، واستعان بالصبر والصلاة ، وأدمن الذكر ، وسجل رائحته في ديوان الخلود وسفر النجاة ودفتر المجد :

أبقى غويا في الضلالة ساردا *** كفي بالمرء بالإسلام والشيب ناهيا

وهذا لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور ، هام بالغزل ومات بالمثل ، وانغمس في الشعر وحده ، يعيش للقافية ، ويضحى للقصيدة ، ولكنه عرف الله عن طريق الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، فتاب من حياة العبث والضياع ، ورجع إلى المحراب ، وأقبل على التلاوة ، وأنشد :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي *** حتى اكتسب من الإسلام سربالا

ونذر لله لا ينظم ولو بيتا واحدا ، فإن فعل أعتق رقبة ، وقال : كفتني سورة البقرة عن الشعر وهذا إبراهيم بن أدهم عاشق الملك ، وهاوي الإمارة ، والمولود في الرئاسة ، فكر ذات يوم فقال : كان أجدادي وآبائي ملوكا فأين هم الآن ؟ هل تحس منهم أحد أو تسمع لهم ركزا ؟! ، وتذكر قول الشاعر :

وسلاطينهم سل الطين عنهم *** والرؤوس العظام صارت عظاما !

فأعلن توبته ، وفر من قصره ، وخلع ثياب الملك ، وهرب من الترف والجاه والنعيم إلى قرة
وراحة الأرواح ، فكان يسكن الخراب ، ويمرغ أنفه بالتراب ، ويأكل الشعير ، وينام على
الرصيف ، ويقول نحن في عيش لو علم به الملوك لقاتلونا عليه بالسيوف :

أمطري لؤلؤا سماء سرنديب *** وفيضي آبار تكريت تبرا
أنا إن عشت لست أعدم خبزاً *** وإذا مت لست أعدم قبراً !

وهذا عمر ابن عبد العزيز ابن النعمة والحشمة ، وارث الدور والقصور ، أرغد الناس في
شبابه عيشاً ، وأكثرهم ترفاً ، وأزكاهم عطراً ، لكن نفسه تآقت إلى الجنة فزهد في الفاني ،
ورغب في الباقي ، واقتبل على الله تعالى ، وصدق مع ربه فعدل في الرعية ، وأخلص في
العبودية ، وقاد الأمة الإسلامية خير قيادة ، مع ورع متين ، وعلم راسخ ، وخشوع صادق :
جزاك ربي عن الإسلام مكراً *** وزادك الله من أفضاله كرماً

برقيات إلى الأحبة

الحب على المحبين فرض ، وبه قامت السماوات والأرض ولم يدخل جنة الحب ، لن ينال القرب ، بالحب عبد الرب ، وترك الذنب ، وهان الخطب واحتمل الكرب ، عقل بلا حب لا يفكر ، وعين بلا حب لا تبصر ، وسماء بلا حب لا تمطر ، وروض بلا حب لا يزهر ، وسفينة بلا حب لا تبهر .

بالحب تتألف الحجر ، وبالحب تدوم المسرة ، بالحب ترسم على الثغر البسمة ، وتنطلق من الفجر النسمة ، وتشدو الطيور بالنغمة ، أرض بلا حب صحراء ، حديقة بلا حب جرداء ، ومقلة بلا حب عمياء ، وأذن بلا حب صماء !

الحب هو بساط القربى بين الأحباب وهو سياج المودة بين الأصحاب :

شكا ألم الفراق الناس قبلي *** وروع بالنوى حي وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعي *** فأني ما سمعت ولا رأيت !!

بالحب ترضع الأم وليدها ، وتروم الناقة وحيدها ، بالحب يقع الوفاق ، وبالحب يعم السلام ، والمودة والوئام .

بالحب يفهم الطلاب كلام المعلم ، وبالحب يسير الجيش وراء القائد ويتقدم ، وبالحب تدعن الرعية ، ويعمل بالأحكام الشرعية ، وتصان الحرمات ، وتقدس القربات .

بيت لا يقوم على الحب مهدوم ، وجيش لا يحمل الحب مهزوم ، لكن أعظم الحب وأجله ما جاءت به الملة ، أجمل كلمة في الحب قول الرب : (يحبهم ويحبونه) . فلا تطلب حبا دونه

ليس حبا قطعة معزوفة *** من يراع الشاعر المنتحب

ما (قفا نبكي) هو الحب ولا *** ظبية البان وذكرى زينب

إنما الحب دم تتزفه *** في سبيل الله خير القرب

أو دموع ثرة تبعثها *** سحرا أصدق من قلب الصبي

أو سجود خاشع ترسمه *** فوق الطين فاسجد واقرب

أحب امرؤ القيس فتاة ، وأحب أبو جهل العزى ومناة ، وأحب قارون الذهب ، وأحب
الرئاسة أبو لهب ، فأفلسوا جميعا ! ، لأنهم أخطؤوا خطأ شنيعا . أما حب بلال بن رباح فهو
البر والصلاح ؛ سحب على الرمضاء ، فنادى رب الأرض والسماء ، وانبعث من قلبه (أحد
أحد) ، لأن في القلب إيمانا كجبل أحد

إذا كان حب الهائمين من الورى

بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا

فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي

سرى قلبه شوقا إلى العالم الأعلى !؟

الحب لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان ، والدليل بلال وسلمان ؛ بلال أبيض القلب أسود
البشرة ، فصار بالحب مع البررة ، وأبو لهب بالبغض ليس من أهل البيت ، وسلمان نال
بالحب جائزة : (سلمان من أهل البيت !) .

دعني من حب مجنون ليلى ، ومحجوب سلمى ، ومعشوق عفرا ، فلطالما لطخت بأشعارهم
الطروس ، وضاقت بأخبارهم النفوس ، وخدعت بقصائدهم الأجيال واتبعهم الضلال ،
وحدثني عن أنباء الأنبياء ، وهم من أجل حب الرب يهجرونه الآباء والأبناء ؛ فإبراهيم يتبرأ
من أبيه ، ونوح من بنيه ، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح ؛ لأن البقاء مع الكافر
سفاح .

هذا هو عالم الحب بتضحياته ، بأفراحه وأتراحه ، وهو حب يصلك برضوان من رضاه
مطلب ، وعفوه مكسب .

والله ما نظرت عيني لغيركم

يا واهب الحب والأشواق والمهج

كل الذين رووا في الحب ملحمة

في آخر الصف أو في أسفل الدرج !

امرؤ القيس يصيح في نجد وقد غلبه الوجد ، (قفا نيك) ،
فإذا بكأؤه على الأطلال ، وإذا دموعه تسفح على الرمال ، وإنه هيام العقل بلا وازع ،
وحيرة الإنسان بلا رادع ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يذوق الويلات ، ويعيش النكبات ،
ثم ينادي مولاه في مناجاة وإخبات ، ويقول : " لك العتي حتى ترضى " ! .
لا تضع عمري بشعر طرفة العبد وهو يشكو الحب والصد ، حب ماذا يا هذا ؟ ! . أما
علمت أن أحد الأنصار ، كان يقرأ (قل هو الله أحد) بتكرار ، فسئل عن المقصود ، قال :
لأن فيها مدح المعبود ، وأنا أحب تلك البنود ، فدخل الجنة بالمحبة ، لأن الله احبه ...

دعني أمسح فوق الروض أجفاني
فالنار موقدة من حر أشجاني
نسيت في حبكم أهلي ومنتجعي
فحبكم عن جميع الناس أهاني !

شغلونا بالروايات الشرقية والمسرحيات الغربية ، ويل هذا الجيل ويله ! .. سهر مع غراميات
ألف ليلة وليلة ، وفي الذكر المتزل والحديث المبجل قصص الحب الصادقة ، والمعاني الناطقة ،
ما يخلب اللب ، ويستميل القلب .
أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب ، والهيام في الأهداب ، فكل ما فوق التراب تراب
، الذي تطير له الأرواح ، وتهتز له الأشباح ، في ملكوت الخلود ، وعلى بساط رب الوجود .

بكت عيني غداة البين دمعا
وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التي بالدمع ضنت
بأن أغمضتها يوم التقينا

دع حب هؤلاء فإنهم مرضى ، وتعال إلى الواحد وناد : (عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا

(

في حالة البعد نفسي كنت أرسلها*** تقبل الأرض عني وهي نائبتني
وهذه دولة الأشباح قد حضرت*** فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

حمزة سيد الشهداء يمزق بالحب تمزيقاً، وأنتم تهيمون بروايات غرامية لفقت ، نقول حدثونا
عن الحب عند ابن عباس ، فتذكرون لنا عشق أبي نواس! كفي جفاء ، فأما الزبد فيذهب
جفاء!!

حب طلحة والزبير أعظم من شكسبير؛ لأن حبهم سطر في (بدر) لمرضاة القوي
العزير، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز.

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحب بالحبر، فالصحابة سجلوا قصص المحبة بدم الصبر.
ومن عجب أني أحسن إليهم*** فأسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها*** ويشتناقهم قلبي وهم بين ضلوعي
لا تدري ربما عذبت بحيك، وكنت عنك عند ربك(هذا فراق بيني وبينك)! ونحن نسمع من
أجل امرأة بكاءك وأنينك.

ولما جعلت الحب خدنا وصاحباً*** تركت الهوي والعشق ينتحبان

فلا تسمعني(شكسبير) ولهوه*** ورنه عود أو غناء غواني

فلي في رحاب الله ملك ودولة*** أظن الضحي والليل قد حسداني!

كلما خرج علينا شاعر مخمور، فاقد الشعور ، حفظنا شعره في الصدور ، وكتبناه في السطور
، وقلنا: يا عالم هذه قصصنا الغرامية، ونسينا رسائلنا الإسلامية ، وفتوحاتنا السماوية ، التي
أهلت الإنسانية.

علمني الحب من سورة الرحمن، ولا تكدر خاطري بهيام (يا ظبية البان) ، أنا ما أحب لغة العيون، ولكن أحب لغة القلوب، ولا أتبع فلتات أبي نواس والمجنون ، ولكني أرتع في رياض الكتاب المكنون(وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ).

ومعنفي في الحب قلت له: أتمد *** فالدمع دمعي والعيون عيوني

الحب الصادق في جامعة (إن المسلمين والمسلمات)، والغرام الرخيص في مسرح الفنانين والفنانات. استعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدس، لتري فيها حياة الأنفس، فالحب السماوي يدعو العبد إلى حياة مستقيمة، ليجد فضل الله ونعيمه، أما الحب الأرضي فإنه يقتل الإنسان ويجعله بلا قيمة.

أرق علي أرق ومثلي يارق *** وجوي يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أري *** عينا مسهدة وقلباً يخفق

حب العز عند فرعون ، وحب الكثر قارون، أما حب الجنة ، فعند أبطال السنة، الذين حصلوا علي اعظم منة. الجعد بن درهم ذبح علي الابتداع، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع. أتريد من الجيل أن يحب الملك العلام، ويصلي خلف الإمام، ويحافظ علي تكبيرة الإحرام، وأنت تحفظه رباعيات الخيام، ليلغهم رسالة لا بعث ولا نشور؟ أعوذ بالله من تلك القشور!.. يا حاج !.. أين حملة المنهاج؟ وأنت من أحرص الناس علي حياة ، فبماذا تدخل الجنة يا أخاه؟!

من تداجي يا إبراهيم ناجي، ومن تكلم ومن تناجي؟ تقول: يا فوادي رحم الله الهوي، بل قتل الله الهوي!.. من يشارك في ثورة الخبز، لا يحضر معركة العز ، لما نسيت الأمة حب القلوب، واشتغلت بحب البطون، رضيت بالدون، وعاشت في هون.
(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

هل عند الأمة فراغ في الأزمان ، تسمع صوت الحرمان، وهو ينادي:

باد هواك صبرت أم لم تصبروا *** وبكاك إذ لم يجر دعك أو جري

نحن بحاجة إلى صوت حبيب بن عدي وهو يلقي قصيدة الفداء، علي خشبة الفناء، في إصرار وإباء ، وصبر ومضاء:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً*** علي أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ*** يبارك علي أشلاء شلو ممزع

بارك الله فيك وفي أشلائك يا حبيب ، فأنت إلي قلوبنا حبيب: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)
اللهم اجعلنا ممن يحبك ويحب من يحبك، ليؤنسنا قربك، اللهم ازرع شجرة حبك في قلوبنا،
لنري النور في دروبنا، و ننجو من ذنوبنا ، ونظهر من عيوبنا.

أحبك حباً ليس فيه غضاضة*** وبعض مودات الرجال سراب
وأمحضتك الحب الصحيح وفي الحشا*** لودك نقس ظاهر وكتاب
إذا صح منك الود فالكل هين*** وكل الذي فوق التراب تراب

وإن تعجب فعجب أن تري شاعراً بائساً ، يشكو ظللاً دراساً ، فهو يبكي من نار الغرام ،
ويشكو ألم الهيام، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت ، لصار حبه عنده كالكوت. ولو أدرك
عنترة الإسلام ما كبا، وما قال: اذكري يا عبل أيام الصبا.

جرير يشكو العيون السود، وبشار يشكو الصدود ، والشريف الرضي يشكو فتنة الحدود،
وكان الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء، ووكان العمر يتسع لهذا الهراء، ويحسبون أن
الناس من أجلهم تركوا المنام، وهجروا الطعام..إذا افتخرنا علي الغرب بأن لدينا نساء
حسناوات، وفتيات فائنات ، قالوا لنا: عندنا في ذلك مسارح ومسرحيات، ومغامرات
وغراميات، لكن فخرنا علي الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً، والعالم جبوراً، والدنيا
طهوراً.

نحن الذين ملأنا جـونا كرمأ*** وقد بعثنا علي قرآنا أمما
والعالم الآخر المشبوه في ظلم*** من يعبد الجنس أو من يعبد الصنما

قتيلان لا يستويان

ذكر أهل السير أن سيّداً باع جارياً له وكان له غلام يحبها حباً شديداً ، فلما ذهب البائع بالجارية رمى الغلام بنفسه من علي سطح بيت عال فوق ميتاً! وقد قال بعض هؤلاء:

والله لو قطعوا رأسي لأتركها *** لما نحو هواها في الهوى رأسي!

قارن بين ما سبق وما رواه ابن حبان ، والغزالي في (الإحياء) في كتاب السماع من أن غلاماً كان في بني إسرائيل علي جبل فقال لأمه: من خلق السماء؟ قالت : الله عز وجل ، قال فمن خلق الأرض؟ قالت الله عز وجل، قال: من خلق الجبال؟ قالت: الله عز وجل ، قال: فمن خلق السحاب؟ قالت: الله عز وجل، قال : إن هذا الرب عظيم، ثم رني بنفسه من الجبل فتقطع، وأنا وإن كنا لا نقر هذا العمل، لكن أنظر كم هو الفرق بين من جعل حياته فداءً لجارية ومن ضحي بروحه من أجل ربه.

ذبت فداها

أما عاشق آخر فيخبرنا بإلحاح ويعلن للملأ أنه قد امتلأ غراماً وعشقاً حتى النخاع ، يقول:

أخبروها إذا أتيتم حماها *** أني ذبت في الغرام فداها

فإذا أخبرناها أنه ذاب في الغرام فداها فماذا سوف يحدث؟! أمن أجل سواد عينيها يذهب حياته هدراً: (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)؟! .. ولكن تعال إلي شاعر بغداد وهو يمدح الحي القيوم — جل في علاه — بيتين من أعذب الشعر يقول :

إليك وإلا لا تشد الركائب *** ومنك وإلا فالمؤمل خائب

وفيك وإلا فالغرام مضيع *** وعنك وإلا فالمحدث كاذب

أحسنت لا فض فوك!.. وهكذا فليكن الإبداع واللموع والتفوق ، وأما شاعر صنعاء فيشاركه في الثناء علي الله ولكن مع الاعتذار من التقصير يقول:

سبحان من لو سجدنا بالجباة علي *** حرارة الجمر والمحمي من الإبر

لم نبلغ العشر من مقدار نعمته *** ولا العشير ولا عشراً من العشر

العيون التي في طرفها حور

للموت ألف طريقة، فمنهم من يموت ساجداً لربه، ومنهم من يموت بجد السيف في سبيل الله، ومنهم من يموت تخمة من كثرة ما أكل، ومنهم من شرب عصيراً فشرق فمات، ومنهم من ضاع له مائة دينار فمات غنياً، ومنهم من بشر بجائزة فمات فرحاً، أو جرير فيخبرنا لنكون علي بينة بسبب موته وأمثاله فيقول:

إن العيون التي في طرفها حور *** قتلنا ثم يحين قـتـلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به *** وهن اضعف خلق الله إنسانا

ياله من قتل غير جميل، ومن موت غير شريف، ومن وفاة رخيصة، ولكن اسمع إلي بطل مجاهد صنديد شهيد وهو يقول:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فليس علي الأعقاب تدمي كلومنا *** ولكن علي أقدامنا نقطر الدما!

شكراً لهذه النفوس الحية والأرواح الخالدة، ما أجلها وأشرفها يوم عرفت كيف تموت ميته شريفة بالذبح في سبيل الله، لا ميته رخيصة من أجل العيون السود وقد قال الصحابي الجليل طلحة بن عبد الله يوم أحد:
اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضي
جزاءك الله خيراً يا طلحة علي هذا الحب الصادق، وهنئياً لك ذلك المصير المبارك.
وهذا شاعر يشاركه هذه الأمنية الغالية فيقول:

لا تمتني يا رب إلا بسيف *** صارم الحد وصلت في سبيلك
فيقتل شهيداً في سبيل العيون السود

ابن عباس يتصدق بعينه

وهذا ابن عباس ترجمان القرآن وبحر الأمة وحرها، يبكي من خشية الله حتى تذهب عيناه فيعزيه أحد الشامتين فينشد ابن عباس:

إن يأخذ الله من عيني نورهما *** ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج *** وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وفي الحديث القدسي ((من ابتليته بحبيتيه (أي بعينه) فصبر ، عوضته منهما الجنة))... وهذا سعيد بن المسيب إمام التابعين أبكاه الحب الصادق حتى ذهبت عينه لمرضاة ربه، وكذلك يزيد بن هارون المحدث المشهور فإنه عمي من كثرة البكاء، فقيل له : أين العينان الجميلتان ؟ قال أذهبها — والله — بكاء الأسحار

أما أحد الشعراء فقد بكى علي محبوبته حتى ذهبت منه عيناه فقال:

أعيناى كفا عن فؤادي فإنه *** من الظلم سعي اثنين في قتل واحد
لقد عميت عيناى من كثرة البكا *** لفرقة حب أو لتذكار فاقد

ويشاركه المتنبى هذا البكاء فيقول:

قد كنت أشفق من دمعي علي بصري *** فالיום كل عزيز بعدكم هانا

فابن عباس ذهب بصره لمرضاة الله فتوابه الجنة ، وهؤلاء ذهبت أبصارهم لفلانة فتوابهم الإفلاس والندم والحسرة.

يا لهف نفسي علي ملل

وخرج شاعر من المدينة وراء قافلة وهو يبكي فسئل عن ذلك؟ قال معهم جارية أخذت قلبي
وذهبت فكان كلما نزلوا منزلاً سألت عنها، فإذا ارتحلوا ارتحل معهم وأخذ ينشد:

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا *** ركائبهم من آخر الليل في الثقل
وردن علي ماء العشيرة والهوى *** علي ملل يا لهف نفسي علي ملل

لكن جعفر الطيار ابن عم المختار، يخرج مسرعاً إلي مؤتة لترفع روحه هناك: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لَتَرْضَى) ، فيتقدم ويقا تل ليضحى بنفسه فداء لدينه ويلقي المنية باسمه وهو ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شراها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
علي إن لاقيتها ضرابها

فتقطع يده وتطير روحه إلي الجنة ويبدله الله بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

جعل المناسك أرض محبوبته

وهذا محب مفتون غلب عليه العشق والغرام والتوله بمحبوبته حتى رفض الخروج إلى مكة لأداء الحج وقال معتذراً

حجي إلى الباب القديم، وكعبي *** الباب الجديد، وبالمصلي الموقف
والله لو علم الحجيج وقوفنا *** في زندروز عشية ما وقفوا
أو شاهدوا جسر الحسين وشعبه *** بين المحصب والنقا ما عرفوا

أما علي بن الحسين زين العابدين فإنه لما حج أراد أن يليي؟ فارتعدت فرائضه وارتعش جسمه واحمر لونه فقبل له: مالك؟ قال أخشى إن قلت: لبيك اللهم لبيك أن يقال لي: لبيك ولا سعديك!.

وهذا من خشية وعظيم تقواه وقوة ورعه وخوفه من ربه، وعند الحاكم في المستدرک أن الرسول صلي الله عليه وسلم لما استلم الحجر الأسود بكى بكاء شديداً، ثم ألتفت فرأى عمر فقال: هنا تكسب العبرات يا عمر

وأى جهاد غيرهن أريد؟

دعي جميل بثينة للجهاد في سبيل الله ليكون كفارة له عل الله أن يرزقه شهادة ينال بها رضوان الله، فاعتذر وهو يقول:

يقولون جاهد يا جميل بغزوة *** وأى جهاد غيرهن أريد؟

وفي الحديث : ((ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه)).

ولكن الطرماح بن حكيم الشاعر المجاهد الصادق يدعو ربه أن يرزقه الشهادة ويقول :

أيارب شهيداً لا تجعل وفاي إن أتت *** علي شرع يعلو بحسن المطارف
ولكن شهيداً ثاوياً في عصابة *** يصابون في فج من الأرض خائف

فجميل يري أن أعظم الجهاد حب النساء، والطرماح يري أن أعظم من ذلك رضوان رب الأرض والسماء! ... (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ)
ألا بلغ الله الحمي من يريده *** وبلغ أطراف الحمي من يريدها

في القلب لا في الرأس

ويزعجنا إيليا أبو ماضي بصياحه ونحيبه وعويله وصراخه وهو ينادي:

يا من لقلب كلما ضمـمـدته *** ملأ الجراح مواجعي وحواسي
لو أنه في الرأس كنت ضمـمـدته *** لكنه في القلب لا في الرأس

وما الجرح؟.. أظنه جرح الهوي والغبي الذي شرحه في طلاسمه (جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت) ..

محب يتوب

يا أخي لغني أنك تبت ، وإلي ربك أنبت، فسرني والله ذلك سرور من وجد المفقود وبشر بالمولود؛ لأننا كنا نفقدك في صفوف الطائعين، والآن وجدت ، وكنا نسأل عنك في موكب الضالين وتجددت ، فو الله لو كتبنا برموش العين علي صحائف الحدود تحية لقدمك لما انصفنا ، ولو رسمنا بنياط القلوب علي سويدائها ثناءنا عليك لما بالغنا ، احبك الله فاجتباك وآترك فاصطفاك ، كنت عبد بعد التوبة قريباً مطيعاً محبوباً، يا أهلاً بمن فرخ الله بتوبته، يا مرحباً بمن استبشرت الملائكة بعودته، يا سهلاً بم تفتحت السماء لدعائه، يا حناناً لمن ذابت المهج لبكائه، يا قرّة عين لمن أنصت عالم الغيب لندائه، سبحان من ابتلاك بالذنب ليكسرك كسرة فيها حسرة، ثم جبرك بالتوبة لتذوق لذة الأوبة ويغسل عنك أدران الحوبة، ركبت إلي الخطايا المطايا فأمهلك وما أهلكك براً وكرماً ، ثم جذبك إليه بحيل التوفيق وأركبك سفينة النجاة في البحر العميق، تبارك من ألبسك تاج التوبة، وزينك بوشاح المحبة، وجملك براء القبول، دمعك علي ما مضى يسأل في ديوان الرضي ، وتأسفك علي ما فات منشور الحسنات وسلم الدرجات، كلما قلت من ذنبك آه، قيل لك : طبت يا (أواه) فقد قلبك الله، كلما صحت من خطاياك ونحت ، نوديت نجوت وأفلت ، كلما ذرفت منك دمعة أوقدت لك في عليين شمعة ، كلما ضج فؤادك شاكياً باكياً قيل لك: دمت طاهراً زاكياً، أدمت

الخطيئة — قبل — أبيك آدم فنودي: يا آدم لو لم تكن التوبة أحب شيء إلينا ما ابتلينا بالذنب أعز الناس علينا:

لعل عتبك محمود عواقبه*** فر بما صحت الأجسام بالعلل

لما ترك الذنب زال عنه الكرب ، وذهب عنه الخطب، ورضي عنه الرب (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى):

سامح الدموع إن أبان جوانا*** نحن لا نكتم الدموع الغزارا

بكي داود حتى بكت معه أحبابه، وتفجع حتى رق له أصحابه فنودي:

رجوعك إلينا أحب من إدلالك علينا، دمعة علي مصابك أشرف من ألف ركعة مع إعجابك، فيا أيها التائب لو تدري بمدلول حديث : ((لله أفرح بتوبة عبده)) لهمت طرباً ، ولتقطعت من الشوق إرباً إرباً ، ولو علمت بتزين الجنان لقدمك لجعلت أفراح أعيادك مكان همومك ، ولو اطلعت فرأيت مقعدك في الفردوس الأعلى، والملائكة ينادون أهلاً وسهلاً ، والخور يقلن وأعلي وأعلي لذبت سروراً وملكت حبوراً ، ولصرت من البهجة مبهوراً ، وفي ظلال الإنس مغموراً ، أيها التائب أبشر بخير يوم طلعت عليك فيه الشمس ، فأنت ابن اليوم لا غد ولا أمس، طاب ممشاك، وأفلح وجهك، وقرت عينك، وسرت روحك، وعلا قدرك، ورفع ذكرك ، هنيئاً لك بندا: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) ، إذا وصلك الخطاب، وعرفت الجواب النبي صلي الله عليه وسلم ورفع لك الحجاب، فسبحان من جبر كسر من زل، ودمل جرح من ضل ، وراش جناح من ذل، اقترفوا ، وعلي الهلاك اشرفوا، فاعترفوا، فبشروا بـ (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) ، أخطؤوا، فأسفوا، وندموا علي ما أسلفوا فوعدوا بـ (بَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) للمعاصي في أول العمر أزلفوا، ثم عادوا إلي باب أرحم الراحمين ووقفوا فسمعوا: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) .. يتقلب التائب في الليل الداخي يبكي ويناجي فيقال له: ما عليك أطلعنا فسترنا ، وعرفنا فعذرنا ، وعلمنا فحملنا، وقدرنا فغفرنا!.

قال التائب : يا رب أذنبت قال: وأنا غفرت ، قال التائب: ذنوبي تجل عن الإحصاء ، قال الرب: ولو بلغت عنان السماء، قال التائب: يا رب أهلكتني السيئات ، قال التائب : يا رب تسامحنا علي ما فات أما تحاسبنا علي تلك الزلات؟ فقال الرب: بل أبدل السيئات حسنات، قال التائب: لا أكرم منك أحد ، قال الله أنا الصمد!..

جاء مذنب إلي عالم فقال: غرقت في الذنوب، فقال له: الآن أدركتك رحمته علام الغيوب ، وقال أحد السلف: والله لو خيرت أن يحاسبني ربي أو يحاسبني أبي وأمي لاخترت حساب ربي لأنه أرحم الراحمين!.

أيها التائب أبشر فإن تذكرك لذنبك طاعة منك لربك، كلما احترق قلبك بنار الدم ، ذابت جبال الخطايا والمم، كلما أطار الهم نومك وكدر الحزن يومك غسلت سيئاتك ومحيت خطيئاتك ،التائب حبيب الله وصديق عباده، وضيف رحمته، ووافد جنته، ومستحق كرامته، وحائر قلبه، التائب يحبه المرسلون لأنه صدق قيلهم، واتبع سبيلهم ، واقتفي دليلهم، والتائب تحبه الملائكة؛ لأنهم يستغفرون له ، ويفرحون بطاعته، ويجوبون توبته، والتائب يحبه المؤمنون؛ لأنه أعانهم علي نفسه، وجاهد مهم شيطانه، وارضي إلههم وإلهه، دمع التائب طاهر، لو وقعت منه قطرة علي جليد الخطايا لذاب، ولو سقط علي ركام المعاصي لغاب ، دمع التائب علي صدق صاحبه برهان، وعلي صحة توبته سلطان:

إذا اشتبكت دموع في حدود *** تبين من بكى ممن تباكي

أيها التائب الآن عرفت فالزم، ووصلت فاسلم ، وحصلت فاغنم، فتقدم ولا تحجم، الباب أمامك مفتوح، والعطاء من ربك ممنوح، والكرم منه يغدو ويروح:

والله والله ما أبكي علي طلل *** ألقى وأقفر من أهل وسكان
ولا بكيت علي واد الغضا سحراً *** أو خيمة بين روض الطلح والبان
وما ذرفت دموعي في الهوي سفهاً *** لفيء خل ولا تذكار جيران
لكن لذكر ذنوب ليبتها محيت *** بعفو رب وغفران وإحسان

قل للمخطئين ومن في المعاصي تورطوا، لأنكم خلقتهم من الطين أبشروا برحمة ارحم الراحمين ، من الذي دعاه فما لباه؟ من الذي سأله فما أعطاه؟ من الذي استجار به فما حماه؟ من الذي استنجد به فما كفاه؟ من الذي أوى إليه فما آواه؟.. أيها التائب ارتكبت امرأة ذنباً، فأسقت كلباً، فأرضت رباً، وكشفت خطباً، وأزالت كرباً، قالوا في الأخبار وقديم الآثار: وقعت حمامة في ملامة فأكثر الندامة، فبكت علي الغصون بدمع هتون ، وناحت في شجون وأنشدت:

ربي إذا ما القلب أفحم بالرضا *** وبكي لفرط ذنوبه وأتاك
هل تعف عنه وهلا تزيل همومه *** إذ لا إله لذي الوجود سواكا

فهتف بها هاتف يقول: من عصانا أمهلناه، ومن تاب إلينا قبلناه ومن أطاعنا قربناه.. يا أيها التائب أما تري فيل أبرهة وجهوه إلي البيت العتيق فأبي، وضربوه فبكي خجلاً من صاحب البيت!.

والله لو قطعوا رأسي لأجلكم *** لسار نحو هواكم في الهوي رأسي
ولو هوت قدمي ممشى لغيركم *** لقلت بيني وما البين من بأس

نظر رجل في المرأة وهو في الأربعين وقد عصى رب العالمين، فرأى الشيب قد غطي عارضيه فصاح: أواه، وأسفاه، يا رباه!، ثم ذهب إلي عالم فقال له:

أما تري الشيب في هذا السواد شطاً *** ونحن في ليل هو نركب الغلطا
أراه ينهـرني عما ألم به *** كأنما هو سيف بالهلاك سطا؟!!

فقال العالم: إن كان صبح الشباب عذرك ، فإن غروب الشيب أنذرك ، فتب إليه واشك الحال عليه، فإذا لقيته يوم الدين، وقال لك: عبي ما أغرك بي؟ فقل برك بي .

بكي عمر بن عبد العزيز ثم قال : اللهم إنك قلت: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)، وأنا شيء
فلتسعني رحمتك . وخرج أحد العباد يصلي بالناس الاستسقاء وهو شيخ كبير ، فكشف رأسه
فإذا هو أبيض كالقطن، وقبض لحيته وبكي وقال:

سبحان من يعفو ونفهو دائماً*** ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه*** جلالة عن العطي لذي الخطا

فتزل الغيث .

براهين الحب

الأبطال يقدمون الرؤوس والنفوس لتلك المعالي والضروس ، فيا عابد الدراهم والفلوس، عش
في عبوس، ودم في نكوس.

قال نور الدين محمود: ((اللهم احشرنى في حواصل الطير وبطن السباع، فرزق الشهادة.
وقال ابن الطرماح: اللهم لا تجعل وفاتي علي سرير في الدار، ولكن اقتلني بسيف الكفار.
وقال طلحة يوم أحد: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضي. وقال عبد الله بن جحش:
اللهم إنك تعلم أني أحبك.. وقال إعرابي رب أرسل علي في المعركة سهماً يقتلني.. وصح في
الحديث : ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علي فراشه))،
وسأل ابن رواحه ربه أن يطعن في سبيله طعنة تصل الكبد!..

يا ليت أنك قد حضرت نزالنا*** ورأيت كيف تقطع الأعناق

كأس المنايا بيننا نحسو به*** حب المهيمن كله ترياق

صارت كأغمد السيوف دورنا*** والرمح في أحشائنا خفاف

متضرجين دماً فلو أبصرتنا*** أنساك ما قلد أنشد العشاق

طعن الإمام المحدث النابلسي بالخنجر في سبيل الله، فكلما طعن طعنة قال: الله الله الله!، فمات وهو يقول الله الله!.. قال أهل السير نزل دمهم، فكتب علي الأرض الله الله الله، فالله أعلم، والعهدة علي الرواة:

إذا قتلوا صحت بحق دماهم *** وكانت قديماً من مناياهم القتل
تدوس الخيول الصافنات رؤوسهم *** غرييون لمال لديهم ولا أهل
تكسرت الأسياف يوم نزالهم *** وفلت رماح الموت وانقطع النبل

تضحية برجال لا بجمال !

وفي عالم التضحية يتقدم عضد الدولة الملك المشهور بذبح ثلاثة ملوك من الكفار في عيد الأضحى المبارك ويهنئه الشاعر فيقول:

صل ياذا العالـا لربك وأنحر *** كل ضد وشانئ لك أبتـر
أنت أعلي من أن تكون ذوي السؤدد *** تيجانهم أمامك تنثر
كلما خر ساجدا لك رأس *** منهم قال سيفك: الله أكبر !

وهذا مثل أضحية الأمير خالد القسري لما صعد المنبر يوم عيد الأضحى، فخطب الناس وقال أيها الناس: ضحوا تقبل أضحتكم، فإني مضح بالجمع بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، يقول ابن القيم:

ولذلك ضحي خالد بالجمع *** يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله *** كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة *** لله درك من أخي قربان

(يحبهم ويحبونهم)

(يحبهم)! .. هذا عجيب، لأنه غني عنهم، وهم فقراء إليه، ولا يعتمد عليهم، ويعتمدون عليه ، ولا يطلب شيئاً منهم، وهم يطلبونه في كل شيء .
وعجيب أن يحبهم وهم مخلوقون ، وهو الذي خلق، ومرزوقون وهو الذي رزق.
(ويحبونه) .. ليس بعجيب، فقد صورهم وهم أجنة ، ثم أخرجهم من بطون أمهاتهم وله المنة ، ثم هداهم بالكتاب والسنة.
ويحبونه؛ لأنه أعطاهم القلوب، والأسماع ، والأبصار ، وسخر لهم الشمس والقمر والنهار، وحماهم من الأخطار في القفار والبحار.
ولو قال: يحبهم، وسكت لتوهم منهم الجفاء، ولو قال: يحبونه، وسكت، لقليل ليس لهم عنده اختفاء، فلما قال: (يحبهم ويحبونه)، تم الوداد والصفاء، وظهر الوفاق والوفاء.

ضحايا الحب .. شعراً

الحب في لغة الهوي حرفان	***	لكنه يوم النوى لغتان
لغة القلوب ولا يفك رموزها	***	إلا فؤاد دائم الخفقان
متوهد بهليب ذكري لو هوت	***	في البحر ظل البحر في هيجان
ومضرج بدم الشهادة معلناً	***	أسماء من ذبحوا علي القربان
ذابت حشاشة ورق خطابه	***	فتجاوبت لحنينه العينان
بعثت له بالدمع ألف رسالة	***	مظروفة بكمائم الأجنان
فإذا قرأت حروفها في ليلة	***	أيقنت أن الحب شيء ثان
الحب ليس قصيدة عربية	***	محبوكة الأطراف والأوزان
الحب ليس رواية منسوجة	***	للعرض والأعلام والإعلان

وتظاهراً بمرارة الحرمان
منحوتة بعجائب البلدان
مضروبة الأطنان في الصوان
أدوارها تصميمك بالدوران
أنفاسه من لاهب النيران
كتبت حروف الحب في الجدران!
سهمين من وصل ومن هجران
هزته ذكر ملاعب الولدان
فهو الشهيد بساحة الميدان
أشواق من رحلوا من الأوطان
ما عاد من صبر ومن سلوان
هجر الكرى ومجالس الإخوان
لارتاع وهو يعد في الشجعان!
لظننتها من لاهب النيران!
فكأنه يشكو إلي الدبران
ثوب السهاد بليلة الأحزان
تغنيه عن خلع وعن قمصان
متلهفاً كالواله الحيران
متمثلاً في صورة الخجلان
في كل ناحية وكل زمان
أو ناح رعد قال صوت فلان!
والغيث يشبه دمع من يهواني!
من شوقه في سالف الأزمان
حساده فهو البعيد السداني

الحب ليس تهتكاً وتهافتاً

الحب ليس من الدعي مقالة

كلا وليست خيمة بدوية

ما كان حباً مسرحية عابث

الحب أن يقف الفؤاد مولهاً

لو سال من جسم المحب دماؤه

ترمي العيون إليه وهي نواعس

فإذا التقي سهم الوصال بقلبه

وإذا أتى بالهجر سهم صائب

وتثير أنفاس الصباح بروحه

فيظل في بحر التذكر باكياً

وإذا الصبا هبت وحل أريجها

لو مر طيف حبيبه بمنامة

أما الضلوع فلو لمست لهيبتها

هجر الرقاد وقد تصدق بالكرى

خلعت له الجوزاء من أسماها

وكساه حتى الليل بردة عاشق

تلقاه مفجوعاً يقلب كفه

فإذا غفا فحبيبه في جفنه

وإذا صحا من يهوي غدا

إن لاح برق قال بسمة عاشق

والصبح طلعة وجهه وجماله

ونشيد طير الروض يحيي ميتاً

فهو المعذب ما قد راعه يحنو له

وسقاك من جفنيه من أسقاني!
هجر المحب وفرقة الخلان
وتبيت أنت بمجرح الأركان
سحر وفوق لماته خالان
ضرباتها تهدي الردى لجنان
وحلاوة من منطق فتان
والشهد ترشف شمعة شفتان
ينسيك عذب معازف العيدان
لا يصح سامعه من الإدمان
من دفء حب إنه سكران
وتوضأت بضياؤها كفان
والغيث مساها علي إبان
ما شئت من شيع ومن ريحان
لله من طل ومـن أردان
كلاً ولا في الحسن يستويان
حبي ولم أراهن عليه جناني
روضاً وما اسكنته بستاني
وذكرت كل العمر ما أنساني!
شرفاً وبصري الهدي وحباني
ولرازقي هو صاحب السبحان
والفخر لي بعبادة الرحمن
متوهجين إلي عظيم الشان
تلك الجماجم والتقي الجمعان
وسعوا دامي الملابس قاني

يا لائمي في الحب ليتك ذقنه
إن كنت تعذلني فحرب ساعة
فلسوف تعذرني وتفقه قصتي
أنا ما هويت مررباً الحاظه
ورموشه كسيوف هند اشرعت
وعلي الجبين من الجمال مهابة
فالنور من تلك الثنايا ذائب
وكلامه سحر حلال مترف
وكلامه سحر حلال مترف
سكر من النغم البريء وآخر
قالوا الثريا علقت بجبينه
ما روضة فيحاء باكر الندي
والمسك في أعطاف كل خميلة
والطل في أردانها متمارج
يوماً بأذكى من تضرع عطره
لم يسبني هذا ولم أهدي له
كلا وما أحللتته من مهجتي
عهد الزيانب كله أنسيته
حبي لمن منح الجميل وزادني
حبي لمالك مهجتي ولخالقي
شرفي بأرني عبده يا فرحتي
وعليه سار الفائزون جميعهم
ولأجله بذلوا النفوس وعلقت
سالت علي حد السيوف دماؤهم

فوق اللذي، يشوي علي الصوان	***	ومقطع الأوصال يسحب جسمه
ألفيته بحواصل الغربان !	***	ومبعثر الأشلاء لو جمعته
وسواهمو لمحبة النسوان!	***	قتلوا لأجل محبهم وحببيهم
إن كان ذاك الفعل في إمكان	***	فاعرف (ضحايا الحب) وافعل فعلهم
وهج السيوف وزحمة الشجعان	***	فإذا جنت من القتال وخفت من
ضرب الردى من فارس طعان	***	وحشيت من وخز الرماح ولم تطق
أن العلا حرمت علي الكسلان	***	وبخلت بالنفس النفيسة موقناً
يوم الاذان يضج في الآذان	***	فاهجر فراشك والمنام مهلاً
متملقاً للواحد الديان	***	واحضر إلي الصف المقدم ضارعاً
عند العظيم مصور الأكوان	***	واسكب دموعاً لا تصان لموقف
متصدع لعجائب القرآن	***	واهتف بصوت خافت متخشع
ندماً بنطق مقصر خجلان	***	ومعفراً منك الجبين ومعلناً
تقدر عليه لسطوة الشيطان	***	فإذا أبيت ولم تطق هذا ولم
أقسى البقاء لمفلس خسران!	***	فتمن موتاً عاجلاً وارحل فما

مع تحيات إدارة مجموعة ورقات البريدية

www.waraqat.net